البرهان

على

سلامة القرآن من الزيادة والنقصان

« قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين »

تأليف

مطبعة الوفاء * شارع الاورغواي * بيروت * سنة ١٩٣٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل القرآن لتوحيد الرحمن وعمارة الاكوان ، وتزكية الإنسان ، وتنوير العقل ، وتقديم العلم ، وجعله دستور الاسلام الذي أقامه على دعائم البرهان ، فأطلق سبحانه بدينه الحق من أسره ، وأخرج الفكر من حبسه ، وحرر به الناس من استعباد الرؤساء والكهان ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد حامل لواء السلام ، ومطلع فجر العلم البسام ، وعلى آله وصحبه البررة الكرام

أما بعد فقد سألني غير واحد عن كيفية جمع الصحابة للقرآن العظيم وأطلعني أحدهم على رسالة لاحد المبشرين الذين انبروا لمحاربة الحق حسداً لمن جاء به وبغضاً له يفترى فيها الكذب ويختلق الإفك ويقول فيها ما ملخصه : اتحسبون ايها المسلمون أن القرآن انزل على نبيكم كما تقرءونه اليوم مرتباً مبوباً كلا ولكنه انزل منجماً مفرقاً غير مرتب ولا مبوب كما تنص كتبكم وتقول علماؤكم . وكذب وحور واختلق وزور (الى ان قال) : إن القرآن لم يجمع إلا بعد وقعة اليمامة التي قتل فيها سبعون قارئاً من الصحابة فما يدريكم والحالة هذه ان موت هؤلاء القراء ذهب بشيء من القرآن الكريم الى آخر ما لفقه من ثرثرة كهذيان المحموم وعربدة السكران ، فرأيت ان انشر للناس كلمةً وجيزةً عن تاريخ المصاحف ، وألقم هذا النابح حجراً أسد به فاه

وقبل الخوض فى الموضوع لا بد لى من مقدمة وجيزة حول القرآن العظيم فاقول :

القران الحكيم العظيم

القرآن الكريم هو أشهر من ان يعرف ، فهو كتاب احكمت آياته ، وبهرت الخلق معجزاته ، تنزيلاً من حكيم حميد . آيات انزلت من حول العرش على سيد ولد آدم فحولت حياة العرب من شقاء لسعادة ، ومن ذلة لسيادة وابدلتهم بجهلهم علماً ، وبهمجيتهم ثقافة وحضارة . وما هو الا أن لابستهم حتى نفثت فيهم روحاً علوياً جديداً فاقوا به الملائكة تقى ووقاراً ، والاكاسرة همة واقتداراً ، فجالوا في العالم جولة القوى العادل ففتحوا نصف كرة الأرض في اقل من نصف قرن والرحمة ملء قلوبهم والحق رائدهم ، وحمل الهدى الى الناس باعثهم ، يصحبهم العلم ويلازمهم العدل حتى قال فيهم حكيم هذا العصر الفرنسي غوستاف ليبون : ما عرف التاريخ فاتحاً أرحم من العرب

لم يزد على هؤلاء العرب الذين لم يكونوا شيئاً مذكوراً غير هذا الكتاب الالهي الذي اتخذوه دستوراً فملأ بهم الكون أجمعه ، وصيرهم بحار علم ونجوم هداية ووضع فى اكفهم زمام العالم

تاريخ نزول القرآن الكريم

أنزل القرآن المجيد من اليوم السابع عشر من رمضان للسنة الحادية والاربعين من مولده الشريف (ص) الموافق لسنة ٦١١ ميلادية إذ أوحى اليه فى غار حراء اول آية منه وهى « بسم الله الرحمن الرحيم إقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق (١) . اقرأ وربك الاكرم (٢) . الذي علم بالقلم .

---

(١) جمع علقة وهي القطعة اليسيرة من الدم المتجمد

(٢) الاكرم : الذي لا يوازيه كريم والحليم عن جهل العباد لا يعجل عليهم بالعقوبة

علم الانسان ما لم يعلم» الى تاسع ذي الحجة يوم الحج الاكبر للسنة العاشرة للهجرة اذ أنزل عليه آخر آية منه وهي «اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً»

فتكون مدة نزوله اثنتين وعشرين سنة وشهرين واثنين وعشرين يوماً

(تقسيمه الى مكي ومدني)

والقرآن الحكيم منه ما نزل بمكة في مدة مقامه (ص) بها وهي اثنتا عشرة سنة وخمسة اشهر وثلاثة عشر يوماً على التحقيق وذلك من سبعة عشر خلت من رمضان للسنة الحادية والاربعين من مولده الشريف الى اول ربيع الأول من سنة اربع وخمسين من مولده صلى الله عليه وسلم وما نزل فى هذه المدة يقال له المكي

ومنه ما نزل بعد الهجرة(١) وهذه المدة تسع سنوات وتسعة اشهر وتسعة ايام وما نزل بها يقال له المدني

سوره وأسماؤها

سور القرآن اربع عشرة ومئة سورة منها ثلاث وعشرون مدنية وما بقي فمكي ولكل سورة اسم خاص فمنها ما اخذ اسمها من مطلعها كالانفال فاتحتها

---

(١) وانما قلت ما بعد الهجرة ولم اقل مدة مقامه «ص» بالمدينة لان كل ما نزل عليه «ص» بعد الهجرة يعتبر مدنياً على الارجح سواء أنزل عليه بالمدينة ام بغيرها كأن نزل عليه «ص» في سفر أو غزو ولو في مكة في مثل حجة الوداع وهي آخر حجة حجها «ص» وفيها أنزلت «اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً» . وفيها انزلت «إذا جاء نصر الله والفتح» اوسط ايام التشريق فعرف «ص» أنه الوداع وقال: قد نعيت الى نفسي . ومن فوائد معرفة المكي والمدني العلم بالمتأخر فيكون ناسخاً او مخصصاً على رأي من يري تأخير المخصص

(يسألونك عن الانفال) والاسراء فاتحتها (سبحان الذي أسرى بعبده) والفرقان فاتحتها (تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً) وطه ويس وص والصافات وق ون الخ

قال الاستاذ الشيخ محمد الخضري بك : وفي القرآن خمس وثلاثون سورة سميت باسماء أشياء لم تذكر في أوائلها كسورة البقرة فان قصة البقرة ذكرت بعد خمس وستين آية منها، وآل عمران فان حديث آل عمران ذكر بعد اثنتين وثلاثين آية منها والمائدة فان حديث المائدة ذكر في سورتها بعد عشر ومائة آية اي قرب آخرها الى غير ذلك

ثم قال الاستاذ : قد كررت البحث في سبب اختيار هذه الاسماء فرجحت أنها وإن لم تكن اول هذه السور تلاوة فهي اولها نزولاً لان القرآن لم يرتب حسب نزوله لا في سوره (١) ولا فى آياته (٢)

جمع القرآن الكريم

كان النبي صلى الله عليه وسلم يتحمل القرآن من الملك حفظاً لانه كان

« ١ » لا يضيرنا ترتيب القرآن لا على حسب نزوله فان ترتيب سوره كما هو الآن هو ما رضيه الله ورسوله وذلك لان القرآن الكريم كان يعارض به النبي « ص » جبريل كل عام في رمضان وعارضه به جبريل عام وفاته « ص » مرتين وكان الصحابة يعرضونه كذلك عليه « ص » كل سنة مرة ومرتين عام وفاته « ص » انظر في ص ٢٣ ومن آخرهم عرضاً زيد بن ثابت وقد كتبه كما عرضه على رسول الله « ص » ويدل على ذلك ما روى عن عوف بن مالك وعن حذيفة من انه « ص » تهجد ذات ليلة فقرأ البقرة وآل عمران والنساء والمائدة سورة سورة على هذا النسق وهو ما عليه ترتيب زيد اليوم وقال الحافظ ابن كثير في فضائل القرآن : قال ابن وهب : سمعت مالكاً يقول : إنما ألف القرآن على ما كانوا يسمعونه من رسول الله « ص » اي حسب عرضهم وقراءتهم عليه

« ٢ » سوف يمر بك في ص ٩ بحث ترتيب الرسول (ص) لآى القرآن

امياً لا يقرأ ولا يكتب . قال تعالى (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون) فكان صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه جبريل بالسورة أو الآيات او الاية يبادر الى اخذها ويسابق الملك في قراءته فكلما قرأ جبريل آية قالها معه قبل ان يفرغ جبريل مما يرتد من التلاوة مخافة الانفلات والنسيان من شدة حرصه (ص) على حفظ القرآن فامره الله عز وجل اذا جاءه الملك بالوحى أن يستمع له وتكفل له ان يجمعه فى صدره ويلهمه معناه على ما اراد وشرع قال تعالى (لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه) .. (سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله إنه يعلم الجهر وما يخفى) .. (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)

فكان صلى الله عليه وسلم اذا وعى الآيات وحفظها بلغها الناس فحفظها[1]

« ١ » لم نرَ امة اقدر على الحفظ فيما علمنا من العرب فما احد اسرع حفظاً ولا احدّ ذكاء منهم ذلك لان الغالب منهم أميون لا يقرؤون ولا يكتبون بل ان جميع عرب البوادي كذلك . فاعتمدوا على ذاكراتهم فاعتادت الحفظ فصار ملكة لهم . فحافظتهم ديوان أشعارهم وسفر اخبارهم ومستودع علومهم وانسابهم ولقد حفظوا على التفصيل ايامهم وحروبهم ووقائعهم وما قيل فيها من شعر وخطب وضبطوا انسابهم واسماء فرسانهم من اي قبيلة والى اي اب ينتسبون وينتهون من الآباء الاولين . تقرأ عليهم القصيدة بالغة ما بلغت فتنتقش في صحائف خواطرهم وتمثل في خيالهم فلا يحتاجون لان تعاد عليهم . وقد تساوى في هذا الكبير منهم والصغير والذكر والانثى والعامة والخاصة

قال الفيلسوف الطائر الصيت توماس كارليل في كتابه الابطال عند تكلمه على العرب في معرض مدحه النبي صلى الله عليه وسلم في محاضرته الثانية « البطل فى صوره رسول محمد — الاسلام » قال : ولا أحسب اناساً شأنهم الانفراد وسط البيد والقفار يحادثون ظواهر الطبيعة ويناجون أسرارها الا انهم يكونون أذكياء القلوب حداد الخواطر خفاف الحركة ثاقبي النظر اه . وكان لكل شاعر منهم رواية يحفظ عنه ما يقول وما ينشد فى المواقع والمجامع . وكل راوية من رواتهم كان يحفظ من الأراجيز والقصيد=

الاميون وهم اكثر الصحابة وامر كاتباً من كتابه (ص) أن يكتبها اما على عسيب (هو جريد النخل) واما على لخف (حجر رقيق) وإما على رقعةوكان (ص) له كتاب معروفون ذكر بعضهم أن عددهم ستة وعشرون ونقل الحلبي عن سيرة العراقي انهم كانوا اثنين واربعين كاتباً منهم من لازمه (ص) جميع ادواره التشريعية ، ومنهم من كان يكتب له مدة قلت او كثرت

=وسائر فنون الشعرما يفوت الاحصاء والحصر .هذا الاصمعي من متأخريهم قال : ما بلغت الحلم حتى رويت اثني عشر الف أرجوزة للاعراب . وكان اسحق الموصلي يقول : لم ارَ الاصمعي يدعي شيئاً من العلم فيكون احد اعلم به منه . وحضر الاصمعي يوماً مجلس الوزير الحسن بن سهل وجماعة من اهل الادب وكان الحسن ينظر في رقاع بين يديه للناس قد رفعوها اليه في حاجاتهم فوقع عليها فكانت خمسين رقعة ثم امر فدفعت للخازن ثم اقبل عليهم فقال قد فعلنا خيراً ونظرنا في بعض ما نرجو نفعه من امور الناس والرعية فنأخذ الآن فيما نحتاج اليه فأفضنا في ذكر الحفاظ فذكرنا الزهري وقتادة . فالتفت ابو عبيدة فقال : ما الغرض من ذكر من تقدمنا ايها الامير ومضى وبالحضرة ههنا من يقول : ما قرأ كتاباً قط فاحتاج الى ان يعود فيه ولا دخل قلبه شيء فخرج عنه . فالتفت الاصمعي وقال : إنما يريدني بهذا القول ايها الامير والامر في ذلك على ما حكى وانا أقرب اليك قد نظر الامير فيما نظر فيه من الرقاع وانا اعيد ما فيها وما وقع به الامير على رقعة رقعه فأمر الحسن وأحضرت الرقاع فقال الاصمعي سأل صاحب الرقعة الاولى كذا واسمه كذا فوقع له الامير بكذا والرقعة الثانية والثالثة حتى مر في أربعين رقعة ونيف . فالتفت اليه نصر بن علي فقال : ايها الرجل ابقِ على نفسك من العين فكف الاصمعي وهذا حماد الراوية حضر مجلس الوليد بن يزيد الاموي فقال له الوليد : بما استحقت هذا الاسم فقيل لك الراوية . فقال : بأني اروي لكل شاعر تعرفه يا امير المؤمنين او سمعت به ثم اروي لاكثر منهم ممن تعترف انك لا تعرفه ولا سمعت به ثم لا ينشدني احد شعراً قديماً ولا محدثاً الا ميزت القديم من المحدث . فقال له : فكم مقدار ما تحفظ من الشعر قال كثير ولكني انشدك على كل حرف من حروف المعجم مئة قصيدة كبيرة سوى المقطعات من شعر الجاهلية دون شعر الاسلام . قال سأمتحنك=

واشهر هؤلاء الكتاب الخلفاء الاربعة، وعامر بن فهيرة وكان يكتب له الرسائل للملوك وغيرهم »، وأبى بن كعب « وهو اول من كتب له من

=في هذا ثم امره بالانشاد فانشد حتى ضجر الوليد ثم وكل به من استحلفه ان يصدقه عنه ويستوفى عليه فانشده الفين وتسعمائة قصيدة للجاهلية واخبر الوليد بذلك فامر له بمائة الف درهم. فهذا حفظ الاسلاميين ولأذكر لك نموذجاً من حفظ الجاهليين (وهو حديث النخار بن اوس النسابة مع ابي زراره بن بجال التميمي) . حدث ابو حاتم السجستاني عن ابي عبيدة قال : كان ابو زرارة بجال بن حاجب العلقمي من ولد علقمة بن زرارة خرج يريد بني شيبان بن علقمة فرأى حين شارف البلد شيخاً يحفه ركب على ابل عتاق برحال ميس « نوع من الشجر » فعدلت وسلمت عليهم وقلت : من الرجل ومن القوم ؟ فارمّ القوم « سكتوا » ينظرون الى الشيخ هيبة له . فقال الشيخ : رجل من مهرة بن حيدان ابن عمرو بن إلحاف بن قضاعة . فقلت حياكم الله وانصرفت . فقال الشيخ : قف ايها الرجل نسبتنا فانتسبنا لك ثم انصرفت ولم تكلمنا . قلت — ما أنكرت سوءاً، ولكني ظننتكم من عشيرتي فانتسبتم نسباً لا اعرفه ولا أراه يعرفني . قال — فأمال الشيخ لثامه وحسر عمامته ، وقال — لعمري لئن كنت من جذم « اصل » من أجذام العرب لاعرفنك . فقلت ؛ اني من اكرم اجذامها . قال ؛ فان العرب بنيت على اربعة اركان ربيعة ، ومضر ، واليمن ، وقضاعة فمن أيهم انت . قلت — من مضر . قال — افمن الارحاء انت ام من الفرسان ؟ فعلمت ان الارحاء خندف . وان الفرسان قيس . قلت من الارحاء . قال — انت اذاً من خندف . قلت — اجل . قال — افمن الارنبة ام من الجمجمة ؟ فعلمت ان الارنبة مدركة وان الجمجمة طابخة . فقلت من الجمجمة قال — فانت اذاً من طابخة . قلت — اجل . قال — أمن الصميم انت ام من الوشيظ « الخسيس من الرجال » فعلمت ان الصميم تميم وان الوشيظ الرباب . قلت من الصميم . قال — فانت اذاً من تميم . قلت — اجل . قال — افمن الاحلمين ام من الاكرمين ام من الأقلين ؟ فعلمت ان الاحلمين عمرو بن تميم ، وان الاكرمين زيد مناة ، وان الاقلين الحارث بن تميم . قلت من الاكرمين قال — فانت اذاً من زيد مناة . قلت أجل . قال — افمن الجدود ، ام من البحور ، ام من الثماد « هو الماء القليل الذي لا مادة له » ؟ فعلمت ان الجدود مالك ، وان البحور سعد ، وان الثماد امرؤ القيس بن=

الانصار وهو احد الفقهاء الذين كانوا يكتبون في عهده صلى الله عليه وسلم »
وثابت بن قيس بن شماس ، ومعاوية ويزيد ابنا ابي سفيان و كانا ملازمين

—زيد مناه . فقلت — من الجدود . قال — فانت اذاً من بني مالك . قلت — اجل .
قال — افمن الذرى ام من الارداف ? فعلمت ان الذري حنظلة ، وان الارداف ربيعة
ومعاوية وهما الكردوسان . قلت — من الذرى . قال — فانت اذاً من بني حنظلة .
قلت — اجل . قال — افمن البدور انت ام من الفرسان ام من الجراثيم ? فعلمت ان
البدور مالك وان الفرسان يربوع ، وان الجراثيم البراجم . فقلت — من البدور قال
فانت اذاً من بني مالك بن حنظلة . قلت — اجل . قال — امن الارنبة ام من اللحيين
ام من القفا ? فعلمت ان الارنبة دارم ، وان اللحيين طهية والعدوية ، وإن القفا ربيعة
ابن مالك بن حنظلة . فقلت من الارنبة . قال — فانت اذاً من دارم . قلت — اجل .
قال — افمن اللباب ام من الهضاب ام من الشهاب ? فعلمت ان اللباب عبدالله ، وان
الهضاب مجاشع ، وان الشهاب نهشل . قلت — من اللباب . قال — فانت اذاً من بني
عبدالله قلت . — اجل . قال افمن البيت ام من الزوافر ? فعلمت ان البيت بنو زرارة
وان الزوافر الاحلاف . فقلت — من البيت . قال — فانت اذاً من بني زرارة . قلت
اجل . قال فان زرارة ولد عشرة حاجباً ، ولقيطاً ، وعلقمة ، ومعبداً ، وخزيمة ، ولبيداً ،
وابا الحارث ، وعمراً وعبد مناةَ ، ومالكاً فمن ايهم انت قلت من بنى علقمة . قال —
فان علقمة ولد شيبان ولم يلد غيره فتزوج شيبان ثلاث نسوة . مَهدِد بنت حمران بن بشر
ابن عمرو بن مرثَد فولدت له يزيد وتزوج عكرشة بنت حاجب بن زراره بن عدس
فولدت له المأمور (كذا بالاصل) وتزوح عمرة بنت بشر بن عمرو فولدت له المقعد
فلأيتهن انت . قلت لمهدد . قال — يابن اخي ما افترقت فرقتان بعد مدركة الا كنت
في افضلهما حتى زاحمك اخواك فانهما ان تلدني امهما احب الى من أن تلدنى امك .
يا بن اخي اتراني عرفتك . قلت اي وابيك اي معرفة ? فلله در هذا النسابة وما بلغه من
العلم ومعرفة الناس ولو كان ابا لهم لربما اختلف عليه احوال بعضهم وهم بهذا العدد
الكثير والجمع الغفير اه نقلت حوار بجال مع النسابة بن اوس من بلوغ الارب لعلامة
العراق و بدر هاتيك الآفاق السيد محمود شكري افندي الالوس

نجباء الاسلام والعرب من رأيت في قوة الحفظ فبهرتهم فصاحة وبلاغة القرآن وحيرهم=

للكتابة بين يديه (ص) في الوحي وغيره لا عمل لهما غير ذلك ، والمغيرة بن شعبة ، والزبير بن العوام ، وخالد بن الوليد ، والعلاء بن الحضرمي ، وعمرو بن العاص ، ومحمد بن مسلم ، وعبدالله بن الحضرمي ، وعبدالله بن عبدالله بن أبيّ ابن سلول، و كان المكتوب يوضع في بيت رسول الله (ص) ويكتب الكتاب لانفسهم منه صورة ويدلهم النبي ض على موضع كل آية[1] من سورتها ·

= منه البيان والافتنان فعجز بلغاؤهم وخطباؤهم عن معارضته بل عن الاتيان بآية من مثله وهم أرباب هذا الشان وفرسان هذا الميدان ورأوا من معجزات النبي (ص) ما لم يبق عندهم ادنى شك في صدقه لا سيما وهم لم يجربوا عليه كذباً قط فآمنوا به (ص) بل صاروا امثلة في شدة الدين وقوة الايمان وحثهم النبي (ص) على تلاوة وحفظ القرآن فما كان اسهل حفظه عليهم فانطبع في قلوبهم وانتقش في صدورهم

لعل لائماً يلومني فيقول لقد اسهبت في موضوع الحفظ والاستظهار فاقول — اجل ولكن اناساً من نابتة مدارس الاغيار انكروا استطاعة احد حفظ القرآن الحكيم · ولو كان واحداً لما التفت اليه ولكنهم افراد · واني اقرب اليهم · فهذا الاستاذ الشيخ محمد السكرى بين اظهرهم في مدينة بيروت يحفظ القرآن الكريم بقراآته السبع او العشر فليأتوه ليسمعوا منه العجب العجاب وامثاله اليوم كثيرون مع ضعف الاسلام اليوم في نفوس ذويه وقلة عدد القراء بالنسبة لمن قبلهم

(١) فمن ذلك ما أخرجه احمد بن حنبل في مسنده باسناد حسن عن عثمان بن ابي العاص · قال : كنت جالساً عند رسول الله « ص » اذ شخص ببصره ثم صوبه ثم قال : اتاني جبريل فأمرني ان اضع هذه الآية هذا الموضع من هذه السورة « إن الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى » وروى احمد واصحاب السنن الثلاثة وابن حبان والحاكم · كان رسول الله « ص » ينزل عليه السور ذوات العدد فكان اذا نزل عليه الشيء دعا من كان يكتب يقول (ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا و كذا)

قال السيوطي في الاتقان « ومن النصوص الدالة على ذلك اجمالاً « اي على ترتيب الآيات » ما ثبت من قراءته (ص) لسور عديدة · كسورة البقرة وآل عمران والنساء في حديث حذيفة ، والأعراف في البخاري انه قرأها في المغرب ، وقد أفلح روى النسائي —

فكانت حافظة الامينن وصحف الكاتبين والصحف التي فى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها تتعاون على حفظ ما انزل الله سبحانه وتعالى . وقدمضى هذا العهد ولم يجمع القرآن في مصحف وإن كان يكتب في الرقاع سوراً كاملة وآيات . قال زيد بن ثابت كنا عند رسول الله (ص) نؤلف القرآن من الرقاع . كما روى ذلك عنه الحاكم في المستدرك على شرط الشيخين

كما انه كان فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم من جمع القرآن كله حفظاً عن ظهر قلب منهم عبدالله بن مسعود [1] وقد رافق النبى (ص) جميع زمن النبوة لانه من السابقين الاولين ومنهم سالم بن معقل [2] وهو مثل ابن مسعود في تقدم

—أنه قرأها في الصبح ، والم تنزيل وهل اتى على الانسان . روى الشيخان انه كان يقرؤهما في صبح الجمعه ، وق في مسلم انه « ص » كان يقرؤها في الخطبة ، (والرحمن) والنجم انه قرأها بمكة على الكفار وسجد في آخرها ، واقتربت عند مسلم انه كان يقرؤها مع ق في العيد ، والجمعة والمنافقون في مسلم انه كان يقرأ بهما في صلاة الجمعة ، والصف في المستدرك انه قرأها عليهم حين أنزلت حتى ختمها وغير ذلك من السور . فتدل قراءته « ص » لها عليهم على ان ترتيب آياتها توقيفى وما كان الصحابة ليرتبوا ترتيباً سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ على خلافه وذلك متواتر

(١) ففي البخاري عن عبدالله بن عمرو أن رسول الله « ص » قال من حديث ″ استقرئوا القرآن من أربعة من عبدالله بن مسعود ، وسالم مولي ابي حذيفه ، وأُبى بن كعب ومعاذ بن جبل . وفي مسند الامام احمد عن ابي هريرة ان رسول الله « ص » قال « من احب ان يقرأ القرآن غضاً كما انزل فليقرأ على قراءة ابن ام عبد » وابن ام عبد هو عبدالله بن مسعود وكانت امه تكنى ام عبد . وكان رضي الله عنه يقول ″ ما من آية من كتاب الله الا وانا اعلم اين نزلت وفيمَ أُنزلت ولقد قرأت القرآن من فى رسول الله « ص » بضعاً وسبعين سورة وتوفى رضي الله عنه بعد جمع القرآن في خلافة عثمان

(٢) كان من السادة النجباء النقباء وقد مر عليك آنفاً انه احد الاربعة الذين امر النبي الناس باخذ القرآن عنهم وكان يؤم المهاجرين بقباء لما قدموا من مكة قبل وصول النبي « ص » للمدينة

الاسلام والمرافقة ، ومُعاذ بن جبل[1] ، وأبي بن كعب وزيد بن ثابت ، وعلى ابن ابي طالب ، وابو الدرداء ، وعثمان بن عفان « وقد قرأه في ركعة » وعبد الله بن عباس[2] البحر الحبر ترجمان القرآن ، وعبدالله بن عمرو بن العاص[3] وابو موسى الاشعرى وكذلك ابو بكر الصديق[4] رضى الله عنه كان من جامعيه حفظاً عن ظهر قلب · وقد كان يحفظ بعضه خلق كثير

وبعد ان توفى النبي (ص) حصل في عهد ابى بكر رضي الله عنه مانبه الى وجوب جمع القرآن كله في مصحف · وذلك انه كان في جيش اليمامة[5]

---

(١) معاذ وأُبى بن كعب هما ممن أُمِر الناس باخذ القوآن عنهم ومات معاذ في طاعون عمواس بالشام سنة ١٨ وله من العمر ثلاث وثلاثون سنة إذ خرج للشام مجاهداً · وأما ابى فهد فهو احد الذين اشتركوا في جمع القرآن

(٢) اخرج الحافظ بن كثير عن مجاهد أنه قال « عرضت القرآن على ابن عباس مرتين أقفه عند كل آية واسأله عنها

(٣) روى النسائى وابن ماجه من حديث ابن جريج عن ابن ابي مليكه عن يحيى ابن حكيم بن صفوان عن عبد الله بن عمرو « هو ابن العاص » قال « جمعت القرآن فقرأت به كل ليلة فبلغ ذلك رسول الله « ص » فقال اقرأه في شهر الح الحديث

(٤) أما كونه رضي الله عنه من حفاظ القرآن فهو امر ظاهر للعيان ولا يحتاج لبرهان وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « يؤم القوم اقرؤهم لكتاب الله» وقد صح وثبت في البخارى وغيره انه صلى الله عليه وسلم قدمه في مرضه إماماً للمهاجرين والانصار معاً فقال « ص » مروا ابا بكر فليصل بالناس فينتج من هذه المقدمات انه رضى الله عنه اقرؤهم ·وفي الصحيح انه بنى مسجداً بفناء داره بمكة وكان يقرأ فيه القرآن ويترامى عليه نساء المشركين وفتيانهم ·وهو محمول على ما كان نزل منه إذ ذاك فإمامته للصحابة دالة على انه كان اقرأهم وهذا مما لا يرتاب فيه مع شدة حرصه على تلقى القرآن من النبي «ص» ومع فراغ بالهِ لهُ و كثرة ملازمته للنبي « ص »

(٥) حدثت وقعة اليمامة هذه اول خلافـة الصديق رضي الله عنه وخلافته كلها كانت سنتين وثلاثة اشهر وعشر ليال · وذلك أن مسيلمة الكذاب التف معه من—

جماعة من حفاظ القرآن كتبت لهم الشهادة فتنبه الصحابة لوجوب جمع القرآن خوف ضياعه

اخرج الامام البخاري عن زيد بن ثابت (رض) قال: ارسل اليّ ابو بكر (رض) مقتل اهل اليمامة فاذا عمر بن الخطاب عنده فقال ابو بكر: أن عمر اتانى فقال: ان القتل استحر «اشتد» يوم اليمامة بقراء القرآن، وانى اخشى ان يستحر القتل بالقراء في المواطن فيذهب كثير من القرآن وانى ارى ان تأمر بجمع القرآن . فقلت لعمر: كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله (ص) فقال عمر: هذا والله خير . فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ورأيت في ذلك الذي رأى عمر، قال زيد: قال ابو بكر: إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فاجمعه، والله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان عليّ اثقل مما امرنى به من جمع القرآن: قلت: كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله (ص)

— المرتدين قريب من مئة الف . فجهز ابو بكر لقتاله خالد بن الوليد في قريب من ثلاثه عشر الفاً . فالتقوا معهم . فانكشف الجيش الاسلامي «اي تقهقر» لكثرة من فيه من الأعراب . فنادى القراء من كبار الصحابه: يا خالد خلصنا «يقولون ميزنا من هؤلاء الأعراب» . فتميزوا منهم وانفردوا فكانوا قريباً من ثلاثة الاف . ثم صدقوا الحملة وقاتلوا قتالاً شديداً . وجعلوا يتنادون يا اصحاب سورة البقرة . فلم يزل ذلك دأبهم حتى فتح الله عليهم وولى جيش الكفر فاراً واتبعتهم السيوف المسلمه في أقفيتهم قتلاً وأسراً وقتل الله مسيلمة وفرق شمل اصحابه ثم رجعوا الى الاسلام . فأنت ترى ان في هذا الجيش القليل ثلاثة آلاف من القراء فلا ريب فيان في غيره مثلهم من الجيوش التي وجهها الصديق لمقاتلة اهل المردة كالجيش الذي وجهه لمقاتلة طليحة بن خويلد الاسدي وغيره ولا ريب في انه بقي في المدينة اضعاف اضعافهم وكيف لا وقد مات الرسول صلى الله عليه وسلم عن ١٢٤٠٠٠ من الصحابه . فأنى يؤثر موت من ذكر في مثل هذا العدد الكثير

قال هو والله خير . فلم يزل ابو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر ابي بكر وعمر رضى الله عنهما . فتتبعت القرآن اجمعه من العُسُب واللِّخاف[١] وصدور الرجال ، ووجدت آخر سورة التوبة مع ابي خزيمة الانصاري لم اجدها مع غيره[٢] (لقد جاءكم رسول من انفسكم) حتى خاتمة براءة

فكانت الصحف عند ابي بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حياته ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنهم . وكان ابو بكر وعمر امرا زيداً ان لا يقبل آية من رجل حتى يقيم شاهدين عليها فلم يقبل زيد من احد شيئاً حتى يشهد شهيدان أنه سمعها من رسول الله (ص) وهو املاها عليه

وكان زيد من حفاظ القرآن وكتابه الذين كتبوه لرسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه كما قدمنا ومع هذا فلم يكتف بحفظه وكتابته بل استعان بصدور الحفاظ وصحف الكاتبين وبما كان مكتوباً في[٣] بيت رسول الله

---

(١) العُسُب بضمتين جمع عسيب وهو جريد النخل كانوا يكشطون الخوص « الورق » عنه ويكتبون في الطرف العريض وقيل العسيب طرف الجريد العريض الذي لم ينبت عليه الخوص والذي نبت عليه الخوص هو السعف . واللخاف بكسر اللام جمع لخفة بفتح فسكون وهي صفائح الحجارة الرقاق وقال الاصمعي : فيها عرض ودقة وتجمع على لُخُف بضمتين كما في رواية اخرى

(٢) يعنى انه لم يجدها مكتوبة عند غيره ممن كانوا يكتبون الوحي لا انه لم يكن يحفظها غيره بل كان يحفظها الكثيرون ويتلونها في الصلاة وغيرها اه من حاشية فضائل القرآن للسيد محمد رشيد رضا علاّمة هذا الزمان

(١) قال الحارث المحاسبي في كتابه فهم السنن كتابة القرآن ليست بمحدثة فانه « ص » كان يأمر بكتابته ولكنه كان مفرقاً في الرقاع والأكتاف والعسب واللخاف فانما أمر الصديق بنسخها من مكان الى مكان مجتمعاً وكان ذلك بمنزلة اوراق وجدت في بيت رسول صلى الله عليه وسلم فيها القرآن منتشراً فجمعها جامع وربطها في خيط—

«ص» وأتم جمعه على ملأ من المهاجرين والانصار · وبعمل ابى بكر أتمّ الله ما ضمنه بقوله (إنا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون)

« نسخ الصحف في المصاحف »

وفى عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضى الله عنه تنبه (رض) الى وجوب اذاعة هذه الصحف في امصار الاسلام الكبرى · والذى نبهه الى ذلك ان حفاظ القرآن من الصحابة انتشروا فى الامصار يقرئون القرآن و كان بينهم شيء من الاختلاف تبعاً لاختلاف لغاتهم [1] فدعا ذلك إلى أن بعض القارئين كان يفضل قراءته على الآخر فرآه مصدراً لخطر شديد لا بد من علاجه

روى الامام البخارى عن أنسٍ أن حُذيفة قدم على عثمان وكان يغازى أهل الشام فى فتح ارمينية وأذربيجان مع اهل العراق فافزع حذيفة اختلافهم

--حتى لا يضيع منها شيء اه من الاتقان · فعلم من هنا انه كان في بيت رسول « ص » صحف وهي التي استعانوا بها على كتابة المصحف

(١) ذلك لان القرآن أنزل على سبعة أحرف « لهجات » تسهيلاً على القبائل فلا تجد إحداها عسراً ولا حرجاً فى إلزامها التلاوة في غير لهجتها وهذا من يسر الحنيفية السمحة « ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج » والاحاديث متضافرة بهذا ففى البخارى عن ابن عباس ان رسول الله « ص » قال « أقرني جبريل عليه السلام على حرف فراجعته فلم أزل استزيده ويزيدنى حتى انتهى الى سبعة أحرف » وهذا فى الأمر الذي يكون واحداً لا يختلف فى حلال ولا في حرام · وفي مسند الامام احمد بن حنبل عن أبي بكرة عن أبيه عن النبي « ص » قال « اتاني جبريل وميكائيل عليهما السلام · فقال جبريل : اقرأ القرآن على حرف واحد · فقال ميكائيل استزده فقال إقرأ على سبعة احرف كلها شافٍ كافٍ ما لم تختم آية رحمة بآية عذاب او آية عذاب برحمة » وفي حديث آخر كقولك « هلم وتعال » وفى البخاري ايضاً عن عمر بن

في القراءة فقال لعثمان أدرك الامة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى. فارسل عثمان الى حفصة أن أرسلى الينا الصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك فارسلت بها حفصة الى عثمان فأمر زيد بن ثابت وعبدالله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف وقال للرهط القرشيين اذا اختلفتم انتم وزيد في شيء من القرآن(١) فاكتبوه

الخطاب «رض» يقول : سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان فى حياة النبي «ص» فاستمعت لقراءته فاذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله «ص» فكدت أساوره فى الصلاة فتصبرت حتى سلم فلببته بردائه فقلت من اقرأك هذه السورة التى سمعتك تقرأ ؟ قال : اقرأنيها رسول الله «ص» فقلت كذبت فان رسول الله «ص» قد أقرأنيها على غير ما قرأت فانطلقت به اقوده الى رسول الله «ص» فقلت : إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها. فقال رسول الله «ص» «إقرأ ياهشام» فقرأ عليه القراءة التى سمعته يقرأ فقال «ص» «كذلك أنزلت» ثم قال «اقرأ يا عمر» فقرأت القراءة التى أقرأني فقال رسول الله «ص» كذلك أنزلت إن القرآن أنزل على سبعة احرف فاقرؤوا ما تيسر منه» . وفى حديث ابى هريرة عند احمد بن حنبل ان رسول الله «ص» قال «نزل القرآن على سبعة احرف، مراء فى القرآن كفر — ثلاث مرات — فما علمتم منه فاعملوا، وما جهلتم منه فردوه الى عالمه اه انظر وصية بن مسعود «رض» فى ص ٢٢ من هذه الرسالة

(١) اى اذا اختلفتم فى رسم كتابته فاكتبوه بالرسم الذى يوافق لغة قريش ولهجتها من نحو همز وغيره فانه أنزل بها لانها افصح لغات العرب ولأنها لغة الرسول(ص) ومن ذلك اختلافهم في لفظ التابوت فى قوله تعالى (إن آية ملكه ان يأتيكم التابوت الآية) فقال زيد انما هو التابوه وقال الثلاثة القرشيون : انما هو التابوت «اى بالتاء» فتراجعوا الى عثمان فقال : اكتبوه بلغة قريش فان القرآن نزل بلغتهم فكتب التابوت. وروى ابن فارس بسنده عن هانئ قال : كنت عند عثمان رضى الله عنه وهم يعرضون المصاحف فأرسلنى بكتف شاة الى ابى بن كعب فيها «لم يسن» و «فأمهل الكافرين» و «لا تبديل للخلق» فمحا احدى اللامين وكتب «لاتبديل لخلق الله» ومحا فأمهل وكتب «فمهل» وكتب لم «يسنه» ألحق فيها هاء والقراءة على هذا الرسم

بلسان قريش فانه انما نزل بلسانهم ففعلوا حتى اذا نسخوا الصحف في المصاحف رد الصحف الى حفصة وأرسل الى كل افق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة او مصحف ان يحرق » وذلك لانه جمع الناس على حرف واحد اي لهجة واحدة وهي لهجة قريش بعد ان زال الحرج من قراءة العرب بلهجة قريش لتعلم القبائل لها بكثرة مخالطتهم للرسول (ص) واصحابه المهاجرين وخلفائه الراشدين ولأن ما سوى المصحف من الصحف لم يكن مجموعاً ولا مرتبا حسب العرضة التي ارتضاها النبي (ص) وهي عرضة زيد بن ثابت كما تقدم واتفق على هذا الأئمة الاربعة ابو بكر وعمر وعثمان وعلى وجميع الصحابة حتى قال على بن ابي طالب لو لم يفعل ذلك عثمان لفعلته انا فالأئمة الاربعة هم الخلفاء الذين قال رسول الله (ص) فيهم (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى)

وبعمل عثمان [1] رضى الله عنه تم الأمن على كتاب الله ان يختلف فى حرف منه

وقال ابن عساكر في تاريخه : إن عثمان خطب يومئذ وعزم على كل من عنده شيء من كتاب الله عز وجل إلا جاء به فكان الرجل يجيء بالورق

---

(١) قال السيوطى فى الاتقان ان جمع ابى بكر كان لخشية ان يذهب من القرآن شيء بذهاب حملته لانه لم يكن مجموعاً فى موضع واحد ، وجمعُ عثمان كان لما كثر الاختلاف فى وجوه القراءة حتى قرءوه بلغاتهم على اتساع اللغات فأدى ذلك بعضهم الى تخطئة بعض فخشى من تفاقم الأمر فى ذلك فنسخ الصحف فى مصحف واحد مرتباً لسوره واقتصر من سائر اللغات على لغة قريش محتجاً بانه نزل بلغتهم وان كان قد وسع فى قراءته بلغة غيرهم رفعاً للحرج والمشقة فى ابتداء الامر فرأى ان الحاجة الى ذلك قد زالت فاقتصر على لغة واحدة وهي لغة قريش

والاديم [١] فيه القرآن حتى اجتمع من ذلك كثرة ثم دعاهم رجلا رجلاً فناشدهم الله تعالى أسمعت رسول الله (ص) وهو أملاه عليك فيقول نعم · فلما فرغ من ذلك عثمان قال من أكتب الناس · قالوا : كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت · قال : فأى الناس أعرب قالوا سعيد بن العاص [٢]· قال فليمل سعيد [٣] وليكتب زيد· قال زيد في بعض الروايات عنه فلما فرغت عرضته « اى على ما ربط في صدره » فلم اجد فيه هذه الآية (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً) فاستعرضت المهاجرين اسألهم عنها فلم اجدها عند أحدٍ منهم حتى وجدتها عند خزيمه الانصارى فكتبتها « اى فلم اجدها مكتوبة عند غيره وان كان غيره يحفظها انظر في حاشية ص ١٥ » قال زيد : ثم عرضته عرضة أخرى فلم اجد هاتين الآيتين (لقد جاءكم رسول) حتى آخر سورة براءة فاستعرضت الانصار أسألهم عنهما فلم اجدهما عند احد منهم حتى وجدتهما مع رجل يدعى

---

(١) الاديم الجلد او المدبوغ منه

(٢) وعند ابى داود من طريق محمد بن سيرين · قال : جمع عثمان اثنى عشر رجلاً من قريش والانصار منهم ابى بن كعب ومالك بن ابى عامر جد مالك بن أنس ومنهم كثير بن افلح ومنهم أنس بن مالك وعبد الله بن عباس

(٣) هو سعيد بن العاص بن سعيد بن العاصى الأموي كان من القواد الولاة وكان كريماً جواداً ممدحاً وكان اشبه الناس لهجة « لسانًا » برسول الله «ص» وافصح الناس وابلغهم ربى فى حجر عمر بن الخطاب ولاه عثمان الكوفة وولاه معاوية المدينة فوليها الى ان مات وهو فاتح طبرستان واعتزل فتنة الجمل وصفين وهو احد الذين كتبوا المصحف لعثمان رضى الله عنه كما علمت· وكان معاوية يقول لكل قوم كريم وكريمنا سعيد · ومن طريق سعيد بن عبد العزيز : إن عربية القرآن أقيمت على لسان سعيد بن العاص· وأدرك من حياة النبى صلى الله عليه وسلم تسع سنين وعدوه لذلك فى الصحابة وكانت وفاته رضى الله عنة سنة سبع او ثمان او تسع وخمسين في خلافة معاوية « رض »

خزيمة ايضا فأثبتهما في آخر براءة ثم عرضته عرضة أخرى فلم اجد فيه شيئا ثم ارسل الى حفصة يسألها ان تعطيه الصحف وحلف لها ليردنها عليها. فاعطته فعرض المصحف عليها فلم يختلف في شيء فردها اليها وطابت نفسه. ويظهر انه رضى الله عنه امر بنسخ المصاحف السبعة من هذا المصحف. والمصاحف التي كتبت منه ارسلت الى الكوفة والبصرة والشام واليمن ومكة والبحرين وأبقى عثمان لنفسه مصحفا عرف بالمصحف الامام ووضعت هذه المصاحف في جوامع الامصار يقرأ منها القراء ويرجع اليها الحفاظ وبعمل عثمان رضى الله عنه تم الأمن على كتاب الله عز وجل ان يختلف فى حرف منه

وقد قرئت هذه المصاحف على الصحابة اصحاب الشورى [١] وغيرهم بين يدى عثمان رضى الله عنه ثم انفذت الى الآفاق [٢]

فانت ترى فيما اثبتناه في هذه العجالة ان الصحابة جامعي القرآن لم يكتفوا بحفظهم ولا بما كان مكتوبا عندهم من شدة تدقيقهم وضبطهم بل كانوا يراجعون ما كان مكتوبا عند غيرهم من الصحابة مما كتب بين يدى النبى (ص) وبأملائه وعلى ان يوجد هذا المكتوب عند غير واحد مع ان الجامعين كانوا يحفظونه في صدورهم وفي صحفهم مبالغة في شدة الضبط وكلام زيد

---

(١) أخرج ابو داود بسند صحيح عن سويد بن غفلة قال: قال على بن أبى طالب «رض» لا تقولوا في عثمان الا خيراً فوالله ما فعل الذى في المصاحف الا على ملأ منا

(٢) قال الحافظ بن كثير. واما المصاحف العثمانية الأئمة فاشهرها اليوم الذى فى الشام بجامع دمشق عند الركن شرقي المقصورة المعمورة بذكر الله وقد كانت قديما فى طبرية ثم نقل منها الى دمشق فى حدود سنة ٥١٨ وقد رأيته كتابا عزيزا جليلا عظيما ضخما بخط حسن مبين بحبر محكم في رق اظنه من جلود الابل والله اعلم زاده الله تشريفا وتعظيما

نص قاطع في انه كان يحفظ القرآن كله لم يذهب عنه منه شيء اذ كان يعرض الصحف على ما ربط في صدره ثم هو نص في ان زيداً كان لا يكتفي بحفظ نفسه خشية ان يكون موضع ظنه

فكاتبوه حافظون له وأبو بكر رضى الله عنه الذي امر بجمعه اولاً من حفاظه وعثمان الذي امر بنقله من الصحف للمصحف او جمعه ثانية على رواية ابن عساكر من حفاظه ايضاً وعلى بن ابي طالب الذي كان حاضر جمعه اولاً وثانياً كان من حفاظه وكذلك ابى بن كعب وعبدالله بن عباس وعبدالله بن الزبير وعبدالله بن عمرو بن العاص وغيرهم ممن لا تتسع لتعداد اسمائهم هذه العجالة . فكل هؤلاء كانوا احياءً وأقروا هذا الشيء وارتضوه ولم يعترضوا عليه بل تلقوه بالقبول لانه عين ما تلقوه عن الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم وعلى هذا اتفقوا واجتمعوا وأياه أقروا وعليه اجمعوا والاجماع دليل العصمة من الخطأ

وقد بلغ من عناية المسلمين الصحابة ومن بعدهم بكتاب الله عز وجل وضبطهم له وتدقيقهم فيه انهم بينوا ما نزل منه بمكة وما نزل في المدينة وما نزل منه في السفر وما نزل في الحضر وما نزل في النهار وما نزل في الليل وما نزل فى الصيف وما نزل فى الشتاء وما نزل في الفراش وما نزل في السماء اذ عرج به صلى الله عليه وسلم . ومن اراد مزيد ايضاح فليرجع للاتقان فى علوم القرآن للسيوطى ، وجمال القراء للسخاوي والمرشد الوجيز لأبى شامة . وهذا سيدنا عبدالله بن مسعود يقول: والذى لا اله غيره ما انزلت سورة من كتاب الله الا وانا اعلم اين انزلت ولا انزلت آيه من كتاب الله الا وانا أعلم فيم انزلت ولو اعلم احداً اعلم منى بكتاب الله تبلغه الابل لركبت اليه . وهذا

سيدنا علي بن ابي طالب يقول سلوني عن كتاب الله فوالله ما من آية الا وأنا اعلم أبليل نزلت أم بنهار فى سهل ام فى جبل فهذا غيض من فيض وقل من كل من ضبطهم ولا مانع من ايراد وصية سيدنا عبدالله بن مسعود رضى الله عنه لاصحابه الكوفيين

لما عزم رضى الله عنه على العوده للمدينة اجتمع اليه اصحابه فودعهم موصياً اياهم هذه الوصية الثمينة العظيمة فقال : لا تنازعوا فى القرآن فانه لا يختلف ولا يتلاشى وان شريعة الاسلام وحدوده وفرائضه فيه واحدة ولو كان شيء من الحرفين[1] ينهى عن شيء يأمر به الآخر كان ذلك الاختلاف ولكنه جامع ذلك كله لا تختلف فيه الحدود ولا الفرائض ولا شيء من شرائع الاسلام ، ولقد رأيتنا نتنازع فيه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأمرنا ان نقرأ عليه فيخبرنا أن كلنا محسن[2] . ولو اعلمُ احداً اعلم بما انزل الله على رسوله منى لطلبته حتى ازداد علمه الى علمي ولقد قرأت على لسان رسول الله (ص) سبعين سورة وقد كنت علمت أنه يعرض[3] عليه القرآن فى كل رمضان حتى كان عام قبض فعرض عليه مرتين[4] فكان اذا فرغ أقرأ عليه فيخبرنى أنى محسن ؟ فمن قرأ على قراءتى فلا يدعنها ، ومن قرأ على شيء من هذه الحروف فلا يدعنه رغبةً عنه فانه من جحد بآية جحد به كله

ثم ان القرآن وصل الينا بالتواتر ينقله مجموع الأمه عن مجموعها خلفاً عن سلف من لدن رسول الله (ص) حتى يومنا هذا والخبر اذا تواتر به النقل قبله

(١) المراد بالحرفين القراءتين اى اللهجتين (٢) انظر فى حاشية ص ١٧

(٣) انظر فى ص ٦ فى الحاشية (٤) قال الاستاذ السيد مصطفى صادق الرافعى: تأمل حكمة عرضه مرتين فى سنة وفاته صلى الله عليه وسلم على خلاف ما كان قبلها لتعلم انه امر من امر الله وكأن العرضة الاخيرة كانت عرضة التاريخ الى آخر الدنيا .

العقل . فقل لهذا الهاذى هل لهذه الاناجيل عشر معشار هذه المتانة والتواتر وهل كتبت كما كتب القرآن بين يدى من انزل عليه وهل اتفق عليه الذين تلقوها من كاتبيها اتفاق المسلمين على قبول القرآن وهل حفظت بالصدور حفظ القرآن بصدور المسلمين العرب القوي الحفظ الشديدے الذكر[١] كما هو مشاهد حتى اليوم ؟ فنقول : كلا بل انها لم تكتب في زمن اتى بها[٢] ولم تحفظ في الصدور لا من العامة ولا من الخاصة ، ولم تكن نسخها كثيرة وفى اغلب الازمنة القديمة لم تكن فى ايدى العامة ، ولم تبلغ درجة التواتر[٣] ، بل روتها الآحاد واختلفت رواياتها ثم انها فقدت وانقطع سندها في بعض الازمنة بسبب الاضطهادات الشديدة وقصد الاعداء ابادتها كما حصل للنصارى قبل زمن قسطنطين . دع تحريفها وتناقضها والاختلاف بين نسخها قديماً وحديثاً

ولئن لم يكف هذا المتشدق عن مراشقة المسلمين ومراماة حصنهم مع ان بيته من واهى الزجاج او من خيوط العناكب — لاكتبن فى تناقص الاناجيل وتحريفها وانقطاع سندها وغير ذلك من عيوبها الكثيرة التي تنزه عنها القرآن الكريم مؤلفاً ارجع به لنفس اناجيلهم واقوال علمائهم واحرارهم والخير بالخير والمبتدىء اكرم والشر بالشر والمبتدىء اظلم

---

(١) انظر في حاشية ص ٧ — ص ١١ فانه بحث في حفظ العرب دقيق

(٢) بل كتبت بعده باكثر من نصف قرن كما يظن النصارى وما هم بمستيقنين انظر ان شئت في قاموس الكتاب المقدس للدقتور بوست وفى ذخيرة الالباب لمؤلفه المارونى فترى ان اناجيل متى ومرقص ولوقا يظنون انها كتبت بين سنة ٦٠ — ٦٥ واما رسائل بولس فكتبت كما يظنون بين سنة ٥٢ — ٦٧ وانجيل يوحنا بين سنة ٧٠ — ٩٥

والمدد المذكورة هنا على تسليم صحتها تكفى لحصول التحريف والتبديل فيها وحصول الخطأ والزيادة فى تحريفها وخصوصاً لان النصارى لم يشتهروا بقوة الحفظ اشتهار العرب والمسلمين بذلك كما مر عليك

خاتمة

اقتطف هذه الخاتمة الجليلة الجميلة وفيها الحقيقة الراهنة من كتاب (دين الله في كتب انبيائه) للبحاثة الكبير والدراكة النبيل والنطاسي البارع المرحوم الدكتور محمد توفيق بك صدقي تغمده الله برحمته ورضوانه قال : ومن علم طباع العرب وغلظتها وشدة تمسكها بدينها وقوة ايمانها وعرف ما كان عليه الخلفاء الراشدون من الاخلاق والدين وانهم ما كانوا ليستبدوا بالامر فى شيء — حتى لو ارادوه لما قدروا عليه — وعرف حال عثمان رضى الله عنه وسبب قتله من عرف ذلك كله ايقن أنهم لو وجدوا فى مصاحف عثمان (رض) عيباً واحداً لرفضوها ولاثيرت حروب واريقت دماء وكان دم عثمان فى اولها ولارتد كثير من العرب عن الاسلام لهذا السبب ولعاب المسلمين بتحريف القرآن من خالطهم او دخل فيهم من اهل الكتاب وغيرهم ولما اتفقوا جميعاًعلى قبول هذه المصاحف ولوجدت بينهم مصاحف مختلفة الى اليوم فعدم حصول شيء من ذلك يدل على ان هذه المصاحف هي عين ما تلقوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وخصوصاً لان الذين تلقوها بالقبول ما كانوا جاهلين حرفاً واحداً من القرآن بل كانوا حافظين له حفظاً جيداً في الصدور من قبل وجود هذه المصاحف وكثير منهم كانوا ممن تلقوه كله او بعضه مباشرة من النبى صلى الله عليه وسلم اه

واقول ان امة يرد اضعفها على اقواها وادناها على اعلاها بل ونساؤها على خلفائها لا يسكتون على خطأ في كتاب الله وهو اعظم شيء عندهم فلقد ثبت ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه بينا كان يخطب فى الناس ويقول :

ايما رجل زاد في صداق امرأة على اربعين درهما وضعت الزائد فى بيت المال اذ قامت امرأة من عرض الناس من صفوف النساء فقالت : لم يكن ذلك لك يابن الخطاب . قال : ولم . قالت : لان الله تعالى يقول « او آتيتم احداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً . فقال رضى الله عنه : وما عليّ امرأة اصابت ورجل اخطأ

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات . و كان الفراغ من هذه الرسالة بعد ظهر الجمعة لاربع وعشرين خلت من محرّم الحرام لعام ١٣٥٢ من هجرة سيد المرسلين وافضل الاولين والآخرين سيدنا محمد الصادق الامين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه اجمعين

وقد تكرم الاستاذ العلامة الشهير الشيخ عبد الرحمن افندي سلام امين فتوى ببيروت بهذه الكلمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما فكان لمن اهتدى بهديه واستضاء بنوره ملجأ ومعتصماً والصلاة والسلام على سيدنا وسندنا محمد جد الحسنين القائل فى صحيح حديثه تركت فيكم الثقلين صلى الله عليه وسلم وعلى آله واصحابه الكرام المستمسكين من كتاب الله بالعروة الوثقى التي ليس لها انفصام ، وبعد فان الاستاذ الفاضل الشيخ سعدي يس قد تكرم عليّ وامتن فاحسن بي الظن ورغب اليّ في كلمة اذيل بها ما جرى به قلمه السيال في ميدان لا يجول في ساحته غير الافذاذ من ابطال الرجال فاجلت طرف الطرف فيما كتبه قلمه وتضمنته كلمه فرأيت ان ما جاء به هذا التحرير هو غاية في التحوير والتحرير ووجدت رسالته هذه مع ما هي عليه من الاختصار والايجاز حرية بان تكون للوصول الى الحق والحقيقة اقرب مجاز كيف لا وقد تضمنت من الادلة المؤيدة بالكتاب والسنة ما فيه غنى لطعن صدور الطاعنين في كتاب الله عن الظبى والاسنة فلله در هذا المؤلف الجليل فانه كبت بما كتب اهل التشكيك والتضليل فلا جرم ان يدعو رسالته هذه بالبرهان على سلامة القرآن من الزيادة والنقصان اكثر الله بين العلماء العاملين من امثاله واجزل الأجر له ولمن نسج في النضال عن الدين على منواله وعاملهم جميعاً بالتكريم والاكرام والحمد لله في البدء والختام قاله بفمه ورقمه بقلمه

في ٥ ربيع الاول سنة ١٣٥٢ امين الفتوى : عبد الرحمن سلام

محمد صلى الله عليه وسلم أعظم العظماء قاطبة

لقد تواطأ البشر على احترام المتفوق المبرز في خطابة او كتابة او علم او اختراع او قضاة او قيادة او سياسة او غلب او انتصار واتفقوا على تعظيم المتجلى بسماحة و كرم او محاسن اخلاق او جودة رأى او سخاء او ...

نعم لقد اتفقوا على اجلال المتفوق باحدى هذه الصفات وسموه عظيماً ولا يذكرون اسمه الا مع الاكبار والاعظام . فعلى بن ابى طالب وسحبان وائل وقس بن ساعدة عظماء لفصاحتهم وعبد الحميد وابن العميد و بديع الزمان عظموا لتبريزهم في الكتابة . ومثل الائمة الاربعة ، والشعبى ، والبخارى ، والجاحظ وابن حزم عظموا بعلمهم ، ومثل شريح واياس بن معاوية و كعب ابن سور عظموا بتفوقهم في القضاء . وعظم ابو بكر وعمر وعثمان وعلى وعمر ابن عبد العزيز وانوشروان بعدلهم . وعظم حاتم الطائي وعرابة الاوس وطلحة الطلحات وعبدالله بن جعفر ومعن بن زائدة بسخائهم . ومثل قيس بن حاصم والاحنف بن قيس عظما بالحلم وسعة الصدر . ومثل معاوية والمنصور والمامون تفوقوا بحدة ذكائهم وجودة رأيهم ومثل خلد بن الوليد وعقبة بن نافع وطارق ابن زياد وقتيبة بن مسلم عظموا بحذقهم في القيادة ولو اردنا ذكر العظماء في التاريخ لضاقت بنا المجلدات الضخمة وخلاصة القول ان العظام من البشر جاءتهم العظمة من صفة واحدة او ثنتين او ثلاثة امتازوا بها على غيرهم

واما اعظم رجل عرفه التاريخ وهو سيدنا محمد (ص) وسيد ولد آدم وافضل من تأخر وتقادم فقد عظم باخلاق لا تحصى ومزايا وصفات لا تستقصى

بل ما من خصلة من خصال البر ولا صفة من صفات الخير ولا مزية من مزايا الحمد الا كان صلى الله عليه وسلم رأساً بها لا يدانيه فيها مدان

فقد كان صلى الله عليه وسلم بليغاً لا يجارى ولا يبارى ، وخطيباً ملء السمع والقلب ، وقائداً مظفراً ، وقاضياً عادلاً ، ومشرعاً حكيماً ، وحاكماً حازما رفيقا ، ومعلماً ماهراً ، وهادياً مرشداً ، وواعظاً يدخل كلامه اعماق القلوب ويصل لقرارة النفوس ، وحليماً لم يغضب ، وسخياً لم يبخل وشجاعاً مقداماً بيد انه ملىء رحمة ورفقا

ان الشجاعة في الرجال غلاظة ما لم يزنها رأفة وسخاء

وملكاً محبباً مطاعاً وأى إطاعة ، وعفيفا نزيهاً ، ووفيا اميناً حيياً خلوقاً الوفاً سمحاً وماذا عساى ان اذكر من صفاته العليا التي ملئت بها كتب الشمائل والتي لا سبيل الى حصرها فهو (ص) مئة الف عظيم لا عظيم واحد فاي عظمة هذه أليس اجتماع هذه الصفات به دليل اعتناء الله به واصطفائه له والا فما المانع من وجود مثله في التاريخ على مسافة زمن التاريخ واتساعها

وأى دليل ادل على نبوته من قلبه الامة العربية الشرسة الشديدة الشكيمة قلبها برمتها وهو وحيد فقير لا ناصر له ولا معين ونقلها من الجهل الى العلم ، ومن الفقر الى الغنى ، ومن الذلة والاستعباد الى العزة والملك والاستعلاء ، وأتى العرب بل والبشر بكتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وتحداهم ان يأتوا بآية من مثله فما فعلوا فيه اخبار الماضين وكثير من ابناء الحاضرين والآتين وفيه كثير من قواعد العلم الذى عرفه البشر والذى لم يكونوا عرفوه وفيه كل ما يلزم البشر لمعادهم ومعاشهم في حياتهم الخاصة والعامة . فدخل معم البيوت فعلم كلاً من الآباء والابناء والازواج والزوجات كيف يحاسن

ويبر كل منهم الآخر وخرج معهم للاسواق فعلمهم احكام البيع والشراء والتجارة والاجارة والقرض والهبة والارث ليعرف كل حقه وحده وارشدهم للخلق الدمث والادب الغض ونفرهم من الرذيلة والهجر والعوراء

وذهب معهم لساحات القتال فوضع له اعدل وارحم القوانين الحربية وارشدهم لكيفية معاملة المسالم والمعاهد والمهادن والذمي. وقبل كل شيء هذب عقائدهم فرفعهم عن السجود للاوثان والتماثيل والنصب وارشدهم الى صواب عبادة الله وحده ولفت نظرهم الى بديع نظام هذا الكون ليدلهم بالصنع على الصانع ليزدادوا ايماناً بربهم الذى يعبدونه وحده

فهل يستطيع رجل امى فقير نشأ في مجتمع منغمس بالجهل ان يأتى بما مرّ عليك وان يحدثك باهم حوادث التاريخ مع تحديد اماكنها وذكر مواضعها الجغرافية كأن يشير الى موقع البحر الاحمر وكونه شرقى مصر بقوله (فاتبعوهم مشرقين) وكذلك موطن عاد وأنه الأحقاف وهل يمكن من كان كذلك ان يشير لكثير من قواعد العلم التى لم تكن معروفة للعلماء فى ارقي ممالك العالم وقتئذٍ كاشارته الى ان المطر من الارض فيقول « اخرج منها ماءها ومرعاها » ولم يستثنِ ماء المطر وكالإشارة الى ان الجبال مخازن المياه فيقول « وجعلنا فيها رواسى شامخات واسقيناكم ماءً فراتا » وان يذكر ما قرره علم النباتات اخيراً من ان للنبات ذكراً وانثي وان الهواء اذا هب على الاغصان والاشجار امال بعضها على بعض فيحصل التلقيح فيقول « وانبتت من كل زوج بهيج » ويقول « فسبحان الذى خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون » و « ارسلنا الرياح لواقح » فاى عالم ام اى فيلسوف كان وقتئذٍ عالماً بهذا فيعلمه اياه تعالى الله وتنزه رسوله عما يقول الجاهلون الظالمون

زعم هذا المبشر الضليل ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان يقرأ ويكتب وانه لا بد ان يكون تلقى ما اتى به من غيره وان كان شيء كثير مما اتى به لم يكن معروفاً للبشر وهو زعم باطل ودعوى منقوضة من وجوه : (١) ان ما جاء به صلى الله عليه وسلم من التشريع مخالف لما كان عليه البشر من انظمة وقوانين (٢) انه نشأ في امة بعيدة عن مضطرب الحضارة ولا معرفة لها لا بالشرائع ولا بالقوانين (٣) ان القانون الواحد كقانون التجارة مثلاً او الجزاء يضعه مجمع من المقننين ولا تمر عليه سنون قلائل حتى يضطر ذووه لاستبداله بغيره او لتعديله ليسير مع مصلحتهم ومحمد صلى الله عليه وسلم جاء بشرع لا يزداد مع الزمان الا جدة بل اننا نرى الامم المتحضرة كلما ازدادوا توغلاً بالحضارة ازدادوا من دينه وشرعه دنواً ويدل على ذلك انتشار الطلاق باروبة واميركة وتحريم اميركا وغيرها للخمر والخنزير (٤) ان ما جاء به النبى الأمى العربي « ص » هو مجموعة قوانين وعلوم واصدق انباء التاريخ واصدق ما عبر به عن الالهيات وعالم الغيب فهو دائرة معارف « معلمه » لا قانون واحد وهذا من اصدق الادلة على نبوته صلى الله عليه وسلم (٥) اما ان يكون اخذ ما اتى به عن الوثنيين او عن اليهود او عن النصارى وكل ذلك باطل فاما تلقيه عن الوثنيين من مشركى العرب فممنوع لانه « ص » نقض الوثنية من أسها ورمى بها فى رمسها وسفه احلام قومه ذويها وعاب آلهتهم وذم دينهم وهم اعدى اعدائه وألد خصومه واكثرهم حرصاً على قتله او النيل منه فلو تلقى عنهم لقالوا له انما تعلمت منا واخذت عنا وهم من احرص الناس على وجدان عيب واحد له . كما انه يستحيل ان يتعلم منهم وهم الاميون اخبار الامم الخالية والاجيال الماضية وقصص الانبياء مع

اقوامهم و كثيراً مما في التوراة والانجيل والاخبار بتحريفهما ٠ وابعد من هذا اخذه عن اليهود الذين رماهم بالخيانة والكذب و بتحريف كتاب الله التوراة و كيف يصدق عاقل اخذه عنهم وتعلمه منهم وقد اثبت ما نفوا واعترف بما انكروا من نبوة المسيح ورسالته وطهارة امه وعفافها ونزاهتها وبراءتها مما رماها به اليهود ثم هو لم يلتق باليهود ولم يختلط بهم الا بعد الهجرة اذ كثر اتباعه واشياعه فلو رأوه اخذ شيئاً عنهم لارتدوا كفاراً على ان اليهود كانوا اعداءً له حاربوه وحالفوا اعداءه عليه واجلاهم عن اماكنهم فلو كانوا علموه لملئوا الدنيا صراخاً اننا نحن معلموك وهل علمناك لتكون علينا

ولو كان كذلك لما آمن به المنصفون من اليهود كعبد الله بن سلام وأُبي ابن كعب وغيرهما ممن لا يتسع هذا الكتيب لذكرهم ٠ وأشد بعداً من هذا وذاك اخذه عن النصارى الذين رد لهم اعظم عقائدهم وهى عقيدة الصلب والفداء ونفى ركن اركان دينهم وهو التثليث و كذب لاهوت المسيح فهل يعقل ان يعلمه هؤلاء ويسكتوا على هذه الاهانة او انهم علموه نقض دينهم ٠ اللهمَّ انها لا تعمي الابصار ولكن تعمي القلوب التى فى الصدور

﴿ أمية صلى الله عليه وسلم ﴾

لقد ثبت للباحثين المنقبين من الشرقيين والغربيين المستشرقين ان عرب الجاهلية كانوا اميين الا نزراً يسيراً ممن كانوا يقطنون بالمدن كمكة والمدينة والطائف والحيرة وصنعاء وهؤلاء قلائل جداً واما سكان البوادى فكانوا كلهم أُميين ٠ وان احداً لم يرَ محمداً «ص» ملازماً لمن اشتهر بالقراءة والكتابة، وقد قدمنا ان قريشاً الذين هم كانوا قوم الرسول «ص» وانهم لم يفارقوه قيد شبر ولا قلامة ظفر بل كانوا معه في سفره وحضره واقامته وظعنه وانهم

عادوا دعوة رسول الله ونشطوا لمحاربتها وقتلها واخفاء حسها وطمس شمسها وهم الذين رموه بما هم معتقدون براءته[١] منه والحريصون على إلصاق اي تهمة به فما كان اسهل عليهم ان ينبذوه بلقب القارئ الكاتب وهو يجاهر بأميته على رؤوس الاشهاد و يتلو عليهم صباح مساء (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذاً لارتاب المبطلون)

وتعلم الكتابة ليس بالامر السهل في مثل ذلك الزمن الذى لم تكن توجد فيه وسائل لتقريب المعلومات للذهن ولاحسن اسلوب ولا دور ولا كتب للتعليم . والتعلم على مثل ما وصفنا لا ينال بالزمن القصير بل يستلزم فراغاً وزمناً طويلين وان احداً لا يستطيع كتم هذا ثم هو لم يغب عنهم مدة تمكنه من التعلم بل كانوا معه في إقامته وظعنه

ثم لماذا لم يره احد يستعمل قرطاساً او قلماً او دفتراً او اداة من ادوات الكتابة . ولماذا لم يفه هذا المعلم ولو لبعض الناس . ولماذا لم يشاهد ولو مرة يلجأ الى احد المتعلمين ليتعلم منه . وليت شعري اين كان هذا المعلم ولم

---

(١) التقى يوم بدر الاخنس بن شريق وابو جهل وخلا به فقال : يا ابا الحكم اخبرني عن محمد أصادق هو ام كاذب فليس ههنا من قريش غيرى وغيرك يستمع كلامنا فقال ابو جهل : ويحك ان محمداً لصادق وما كذب محمد قط ، ولكن اذا ذهبت بنو قصى باللواء والسقاية والحجابة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش . ولقيه كذلك قبلها بمكة فى بيته بعد ان سمعا قراءة النبى صلى الله عليه وسلم فسأله قائلاً ما رأيك فيما سمعت من محمد . قال تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف أطعموا فاطعمنا وحملوا فحملنا واعطوا فاعطينا حتى اذا تجاثينا على الركب وكنا كفرسى رهان قالوا منا نبى يأتيه الوحى من السماء فمتى ندرك هذه والله لا نؤمن به ولا نصدقه ابداً : فقام عنه الاخنس وتركه . وامثاله هذا كثير

يظهر علمه وفلسفته للعرب حتى تجله وتحترمه احترامها لمحمد وأي فائدة جناها من هذا الكتمان وكيف انطبع هذا المعلم على خلاف ما جبلت عليه نفوس البشر من كتم فضائله ومناقبه ولا سيما في مثل ذاك العصر عصر المناظرة والمفاخرة والتكاثر. ولِمَ لم يوجد احد من اصحابه (ص) يأنف من اخذ العلم عنه حتى ان اكابر العلماء كانوا يفتخرون انهم اخذوا العلم عنه (ص) من كتاب الله وسنة رسوله كعلي وكمعاذ بن جبل وابن عباس وكزيد بن ثابت وامثالهم.

ولِمَ لم يرَ النبي (ص) يقدم واحداً من معاصريه او اصحابه على بقية اصحابه بل كانوا كلهم يفدونه ويتسابقون الى رضاه ايماناً به صلى الله عليه وسلم فيالله من هذا التعصب الذميم الذي اعمى واصم فالحمد لله الذي اظهر الحق الابلج على الباطل اللجلج وما بعد الحق الا الضلال. والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله، والحمد لله في البدء والختام

بقلم

سعدي ياسين